

خمسة أختام من الشرق الأدنى القديم

بقلم
الأستاذ الدكتور
صلاح رشيد الصالحي
تخصص: تاريخ قديم
بغداد 2020



شكل 1: طبعة ختم أسطواني من مملكة عيلام (Elam)
اوصاف الختم: الطول (7) سم، الارتفاع (4.8) سم مصنوع من حجر الكوارتز (quartzite) اللون أسود.

يتميز الختم الاسطواني العيلامي بنقش مبكر للعربة الحربية العيلامية، ويعود تاريخ الختم إلى فترة غزو العيلاميين لمدينة بابل، والمعروف ان البابليين عانوا من خصمين عنيدين هما مملكة آشور في الشمال، ودولة عيلام في شرق بلاد الرافدين عند جبال زاكروس وعاصمتها سوسة أو (شوشة) واقتنست الكثير من مفردات الحضارة من بلاد الرافدين مثل الكتابة المسمارية، والاختام، والاساطير، ولها نشاط تجاري مع المدن السومرية والبابلية ولكن لديها عدااء مع الدولة الآشورية استمر لفترة طويلة حتى ازالها من الوجود اشوربانيبال عام (640) ق.م.

كانت الضربة القاضية التي دمرت بابل جاءت على يد كوتير-ناخونتي الثاني (Kutir-Nahhunte) الملك العيلامي عام (1157) ق.م الذي استطاع اسقاط الكاشيين (Kaššites) حكام بابل وسرقة ما استطاع حمله منها مثل مسلة حمورابي، ومسلة النصر لـ(نرام سين) الأكدي، ومسلة الملك الأكدي مانشتوسو، وتمثال كبير للإله مردوخ، وترك الملك العيلامي حامية عسكرية عيلاميه في بابل والتي انسحبت قبل وصوله إلى عاصمته سوسة ، وهكذا اختفى حكم الكاشيين إلى الابد بعد ان حكموا بابل قرابة (576) سنة وتسعة أشهر (تقريبا بقدر الحكم الدولة العثمانية للعراق)، وكان الكاشيون أول الشعوب التي استخدمت الحصان والعربة في العمليات العسكرية، ولسوء الحظ بالنسبة للكاشيين أن العيلاميين استخدموا هذه التقنية العسكرية ضدهم خلال المعارك بين الدولتين، عموما صور في الختم حصانين يسحبان عربة حربية عجلايتها ذات ثمانية شعاعيات، ويقود العربة سائس ورجل الاحتمال الكبير هو الملك العيلامي كوتير-ناخونتي الثاني الذي يدير جسمه بمواجهة الإله شوشيناك حامي سوسة (شوشة) عاصمة عيلام وإله المستضعفين والفقراء، وقد صور وهو يرتدي قبعة مقرنة وأمامه شكل مذبح أو مبخرة لحرق البخور، وتحت قوائم الحصانين جندي بابلي قتيل، ويمكن رؤية العنقود النجمي وهي سبعة نجوم مباشرة فوق ظهر الحصان تعرف في بلاد الرافدين قديما باسم (مول مول) (Mul Mul) أو (نجمة النجوم) وعددها سبعة نجوم وهي (الثريا) وتعرف بانها آلهة الحرب سبيتو (Sebittu) واستخدمت في النقش لأنها ترمز إلى النصر العيلامي على بابل (شكل 1).



شكل 2: طبعة ختم أسطواني من مملكة أوغاريت القديمة (Ugarit)

أوصاف الختم: الطول (6.7) سم، الارتفاع (3) سم، صنع من حجر الكوارتز.

تقع مدينة أوغاريت (موقع رأس شمرة حاليا) على الساحل الشرقي للبحر المتوسط شمال اللاذقية في نهاية سهل خصيب، لذلك ليس من قبيل الصدفة أن نرى أرشيف أوغاريت يتحدث كثيرا عن الزراعة، كما اكتشف

خلال التنقيبات بأن الموقع كان مسكونا منذ العصر الحجري الحديث، وقد استعمل سكانه الأوائل الأدوات المصنوعة من حجر الصوان والعظام، وعرفوا الفخار المنقط باللون الأبيض، كما أن موقع أوغاريت القديمة على ساحل البحر المتوسط يعتبر موقع استراتيجي في شمال سوريا، وبدأ التنقيب فيها في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، واكتشف عدد كبير من النصوص المسمارية الأكديّة، وتشير تلك النصوص وجود علاقات سياسية قوية مع مصر من جهة والمملكة الحثية في بلاد الاناضول من جهة أخرى، كما ذكرت النصوص توتر العلاقات بين الدولتين الكبيرتين وانعكاسها على أوغاريت، على العموم كان لمصر تأثير كبير وشريك تجاري رئيسي مع أوغاريت وخاصة تجارة أخشاب الأرز من لبنان حيث يتم تصديره عبر هذه المدينة الساحلية لتغذية احتياجات الحرفيين والمعابد في مصر، فقد كانت مصر فقيرة بالأخشاب، ولذلك اعتمدت وبشدة على استيراد هذه المادة مع جيرانها الشماليين (بلاد الشام)، والجنوبيين من (أفريقيا) وهكذا كانت أوغاريت نقطة التقاء رئيسية للسلع من بلاد الرافدين، ومصر، وبلاد الاناضول .

نقش على الختم ملك أوغاريت ساحبا وتر قوسه مسددا سهما وهو يروم اصطياد أسد واقف على قوائمه الخلفية بينما تبرز مخالبة من القوائم الامامية، اما العربية فيسحبها حصانين، وصندوق العربية يتسع لشخص الملك فقط للدلالة على قوته ومهارته في الصيد، اما العجلة فهي رباعية الشعاعيات وتعتبر هذه أقدم شكل للمركبة الحربية الاوغاريتية، ونلاحظ تحت العجلات عدو مهزوم يرمز على قوة الملك وقدراته الحربية، ويرتدي الملك غطاء الرأس وهو يشبه إلى حد كبير التاج الأبيض للملوك المصريين، كما يظهر فوق المشهد صقر فاتحا جناحيه مع طائر آخر خلف الملك، والمشهد يشبه إلى حد ما ملوك مصر الذين كانوا محميين من قبل الصقر رمز الإله حور (حورس) الذي كان يوضع غالبا خلف الملك، ومن الملوك الذين حملوا اسم الإله حور هو الفرعون حور محب (المملكة الحديثة)، إن تبني التقاليد الفنية المصرية ودمجها بالتقاليد الاوغاريتية تدل على احترام الثقافة المصرية خلال فترة الولاء لفرعنة مصر في عهد الأسرة الثامنة عشر المصرية (شكل 2).



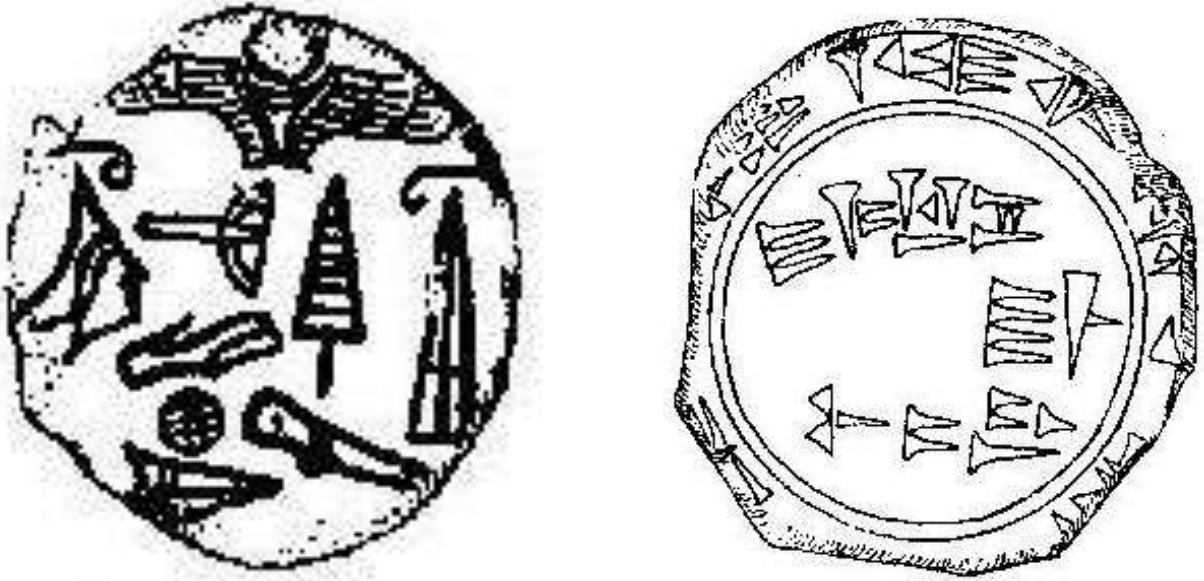
شكل 3: طبعة ختم أسطواني من المملكة الآشورية (Assyrian)

أوصاف الختم: الطول (3.6) سم، القطر (1.3) سم، صنع من حجر العقيق الأبيض.

تعتبر مدينة آشور (موقع الشرجاط جنوب الموصل) من أقدم العواصم الاشورية فقد كانت عاصمة شمشي-ادد الأول (Shamshi-Adad) (1781-1813) ق.م، وظلت عاصمة للأشوريين ولمدة طويلة وفيها معابد وزقورة الإله آشور، واهتم الملوك في اقامة الاستحكامات للمدينة، لأنها العاصمة الدينية ومقر دفن الملوك الأشوريين وتتويجهم فيها، وقبل نهاية القرن الثامن ق.م قادت المدينة ثورة أدت بحياة الملك شلمانصر الخامس (722) ق.م واعتلاء سرجون الاشوري عرش آشور، ويعتقد انه المحرض للثورة لأنه المستفيد الوحيد منها، وأول عمل له منح المدينة امتيازات عبر عنها سرجون: (حرر أهل آشور من التجنيد القسري وجباية الضرائب) وشمل الاعفاء اعمال السخرة ايضا، وبذلك اكتسب رضا الإله آشور من خلال تأييد الكهنة وسكان مدينة آشور، لكنه في الوقت نفسه أيقن بضرورة بناء عاصمة جديدة تجعله اكثر استقلالية من ضغط العناصر الدينية، ومن قادة الطبقة الاشورية الحاكمة وتدخلاتهم في الحكم .

نقش على الختم حصان رشيق مجنح مع مخالب صقر، وقرنين فوق الرأس، كما تم ابراز العضو الذكري للحصان بهيئة التنين، ومن شكل الحصان وكأنه يتهدأ للطيران، وبهذه المواصفات فهو حصان إلهي اسطوري لان الآلهة هي الوحيدة التي تملك اجنحة حتى تستطيع الطيران والوصول إلى مكانها في السماء حيث مجمع الآلهة، وهناك كتابة مسمارية تشير إلى صاحب الختم المقيم في آشور، يعود تاريخ الختم إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م وبذلك فهو يعود إلى العصر الاشوري الوسيط، واعتقد الحصان الاشوري المجنح اصبح معروفا في الاساطير اليونانية واكثر المخلوقات الحيوانية شهرة واطلق عليه بيغاسوس (Pegasus) (معنى اسمه البرق) لونه ابيض نقي، وهو يجلب الصواعق للإله زيوس، واصله من نسل الإله الاولمبي بوسيدون (Poseidon)، ولا يمتطي الحصان المجنح إلا الآلهة، وقد حول الإله زيوس (Zeus) الحصان بيغاسوس إلى كوكب يحمل اسمه.

ذكر الحصان المجنح في الإسلام في كتب التفاسير الإسلامية عند الحديث عن سورة (الاسراء والمعراج)، فيذكر المفسرين ان الرسول (ص) صعد إلى السماء راكبا حصان مجنح (وصف انه أكبر حجما من الحمار وأصغر حجما من البغل) أطلق عليه (البراق) وهذا الاسم مشتق من البرق، لونه ابيض له جناحين لا يركبه إلا الأنبياء، فقد ركبه من قبل إبراهيم عليه السلام لزيارة زوجته هاجر وابنها إسماعيل في رحله من فلسطين إلى مكة المكرمة (شكل 3).



شكل 4: طبعات ختم منبسط من المملكة الحثية (Hittite)

اوصاف: طبعة ختم الملكة العظيمة مالني-كال، العلامة المسمارية في وسط الختم تلفظ كال (Kal) مثل الكلمة السومرية كال (Gal) وتعني (العظيم)، وفي الصف الأعلى في الدائرة الوسطية تلفظ مالني-كال (Malni-kal) وهو اسم الملكة، وفي الصف الأسفل تلفظ ابنة الملك العظيم – LUGAL – MUNUS (GAL) (اليمين).

اوصاف: طبعة ختم منبسط للملك مورسيلي الثاني ومعه زوجة ابيه الملكة مالني-كال بالخط الهيروغليفي، في الأعلى الشمس المجنحة شعار العائلة المالكة الحثية وشكل السكين في الأسفل تعني لي (li) وهو الحرف الأخير من اسم مورسيلي ومعنى اسم مورسيلي (لا يرحم) (اليسار)

من خلال النقوش والأختام تظهر ثلاث ملكات في حياة سوبيلوليوما الأول (1344-1322) ق.م في فترة حكمه وهن :دادو-خييا (Dadu-heppa)، وخنثي (Henti) وهي تاوانانا (Tawananna) بمعنى (السيدة الأولى)، فالملكة دادو-خييا هي أم سوبيلوليوما وزوجه أبيه تودحليا الثالث، وقد عاشت فترة طويلة بعد وفاة زوجها واحتفظت بمنزلتها طيلة هذه الفترة كملكة وتاوانانا حسب ما تقتضيه التقاليد الحثية، وبعد وفاة الملكة الأم أخذت مكانتها إلى الزوجة الأولى سوبيلوليوما الأول المعروفة باسم خنثي (Henti) وقد ذكر مركزها وامتيازاتها في مرسوم أصدره ابن سوبيلوليوما الأول الكاهن تليبينو (Telipinu) في كيزوواندا، لكن هذا الامتياز لم يعمر طويلا فبعد بضعة سنين من ارتقاء سوبيلوليوما العرش اختفت خنثي تماما من الأختام والنقوش واتخذ الملك زوجة جديدة هي ابنة ملك بابل.

منحت الملكة البابلية لقب تاوانانا إضافة إلى اسمها البابلي مالني-كال، لقد ظهر أسم الملكة البابلية مع زوجها في عدة طبعات أختام منها (الشكل 4 اليمين) ختم به اتفاقية حلف عقده سوبيلوليوما مع ملك اوغاريت ويدعى نيقمادو الثاني (Niqmaddu) ويؤرخ إلى الحملة الأولى على سوريا والمعاهدة عليها ختم سوبيلوليوما مع نقش باللغة الأكديّة المسمارية تقر : (ختم سوبيلوليوما، الملك العظيم، ملك بلاد حاتتي، حبيب إله العاصفة وختم تاوانانا، الملكة العظيمة ابنة ملك بابل مالني-كال Malni-kal)، ليس لدينا نص بابلي يشير إلى زواج أميرة بابلية من ملك حثي ولهذا يعتقد انها ابنة الملك برنابرياش الثاني (1370-1347) ق.م (Brnaburias) ملك بابل الكاشي، وزواج سوبيلوليوما من ابنة ملك بابل هو إقامة حلف مع العائلة الكاشية الحاكمة، ربما هناك دافع استراتيجي لضمان على الأقل الحياد البابلي أو الحصول على الدعم من بابل في حملته ضد مملكة ميتاني، ومن المحتمل أن الحلف الكاشي-الحثي في فترة حكم مورسيلي الأول (1600-1590) ق.م يحمل نفس الأهداف ساعدته في غزو حلب ثم بابل فيما بعد، وأدى إلى سقوط سلالة بابل الأولى (1595) ق.م، يبقى مصير الملكة خنثي (Henti) لغزا؟ ولكن يعتقد إن خنثي تم نفيها إلى بلاد اخياوا (Ahhiyawa) كعقاب لها من قبل زوجها، الاحتمال الأكثر قبولا أن زواجه من الأميرة البابلية ربما كان السبب وراء إبعاد خنثي، فقد قتل سوبيلوليوما الأول أخيه الوريث الشرعي تودحليا، وبذلك أثبت أنه لا يرحم حتى أعضاء من عائلته أذا وقفوا في طريق انجازاته وأهدافه.

اما الختم الثاني (شكل 4 اليسار) فيعود لفترة حكم مورسيلي الثاني (1321-1295) ق.م حيث أصبحت الملكة البابلية تشكل قوة في البيت الملكي الحثي، وعلى ما يبدو أن قوة شخصيتها ازدادت في نهاية حياة سوبيلوليوما الأول، واتهمت بأنها مستبدة في أرائها وتبذيرها وتفضيلها العادات البابلية الأجنبية حتى بدون استشارة من زوجها، على أية حال عثر على أسم مورسيلي الثاني مرافق لأسمها في عدة طبعات ومنها الختم أعلاه، ولكن ساءت الأحوال بين مالني-كال من جهة وابن زوجها الملك مورسيلي الثاني من جهة أخرى فقد وجه لها عدة اتهامات منها عبادة آلهة بابلية، وتبذير أموال المعابد، والتهمة الأكبر ممارسة السحر الأسود الذي أدى إلى وفاة زوجته كاشولوايا (Gassulawiya) وهذه التهمة كانت كافية لتجربدها من امتيازاتها الدينية ونفيها خارج حاتوشا (اشكال 4).



شكل 5: الختم المنبسط من المملكة المصرية (Egyptian)

اوصاف: الختم المنبسط للفرعون رمسيس الثاني (وجه الختم) (اليمين)، طبعة ختم رمسيس الثاني (الوسط)، شكل يعتقد يمثل رمسيس الثاني (ظهر الختم) (اليسار)

عثر على ختم منحوت على الوجهين يعود للملك رمسيس الثاني (وسر ماعت رع ستبن رع) (Ramesses) الأسرة التاسعة عشرة (1194-1308) ق.م في متجر خيري في منطقة هيرتفوردشاير (Hertfordshire) (إنجلترا)، وتم شرائه من قبل عالم الآثار جيمس بالم (James Balme) (ويعمل أيضا مقدم للبرامج التلفزيونية) بمبلغ (12) يورو أو ما يعادل (19) دولار، وربما يعود الختم إلى أحد صيادي كنوز الآثار المصرية، وبقيت القطعة الأثرية القديمة مهمة بين الخردوات في متجر لبيع المواد المختلفة لصالح الأعمال الخيرية.

استلم رمسيس الثاني الحكم في سن الخامسة والعشرين واستمر في الحكم (67) عاما لذا يطلق عليه (العظيم)، وقام ببناء المعابد في جميع انحاء مصر والنوبة، وأنجب (54) من الأبناء، كما شيد عاصمة جديدة دعاها بر رمسيس (Pyramesse)، ومن أشهر المباني معبد ابو سمبل المنحوت في الصخر، والرامسيوم (Ramesseum) معبده الجنائزي في طيبة، وقبر زوجته الملكة نفرتاري (Nefertari)، ويعتبر قبرها من افضل المقابر لحد الآن، كما اكتشف بعض القبور الأبنائه في وادي الملوك، وقد حقق رمسيس الثاني شهرة كبيرة في التاريخ المصري من جهة وفي التوراة باعتباره مضطهد اليهود من جهة أخرى، كما اشير له بالقرآن باسم فرعون (ذو الاوتاد) فقد عرف عنه بان يضع في الأرض صخور مثل الوند عليها اسمه للدلالة على مكان وصول حملاته العسكرية وان تلك المناطق تابعة لسيادته ولا زالت بعض تلك الاوتاد موجوده في فلسطين وبلاد الشام.

في وجه الختم المصنوع من الحجر وعليه كتابة هيروغليفية نجد خرطوشه بيبضاوية افقية تحتوي على اسم رمسيس وقد أرسل الختم لغرض ترجمة الكتابة ومعرفة تاريخ الختم الحجري فما يزال الختم يحتوي على آثار المغرة الحمراء بالإضافة إلى حبيبات الرمل داخل الخطوط المنحوتة في الختم، وكما يلاحظ في (شكل 5 اليمين)، وطبعة الختم (شكل 5 اليسار) تظهر الكتابة واضحة وبذلك يمكن ان يستخدم كختم ملكي.

في ظهر الختم مشهد يظهر رجل جالس وفوق رأسه طائر الصقر حتما هو الإله حور (حورس) حامي الملك عندما يمر في الحياة الآخرة، وهناك خنفساء الجعران عند قدميه، ومن المعقول ان يكون الشكل الجالس هو رمسيس نفسه فهناك نقش صور الفرعون وهو يمارس رياضة الصيد، ومع هذا لا بد من المزيد من التحليل

للتأكد من الشكل الجالس، ويعتقد الاثاري جيمس بالم ان الختم يعود لرعمسيس الثاني وبالتالي فهو الشخص الجالس.

هناك رأي آخر بان هذا الختم هو تميمة ينقش فيها اسم الملك وتوضع في القبور لجلب حسن الحظ، وعثر على بعضها ضمن محتويات القبور، أو يرتديها الفراعنة لحمايتهم من الأرواح الشريرة في الحياة والموت، اعتقادا بان تسجيل أسمائهم على التمام سوف لن تختفي بعد الموت، لذا يعتقد البعض من الباحثين بان الختم أعلاه أقرب إلى شواهد القبور (شكل 5).